وردة اليـــازجي

للأستاذ يوسف يعقوب مسكونى

— ٣ —

رقالت فى رثاء ولدها أمين :

بأى فؤاد أبتغى بعدك السلوى وأنت فؤادى فى التراب له مأوى

وهى تقول :

ألح علىّ الحزن من كل جانب فشن على صبر الحشا غارة شعوا

فلو أن ما بى بالجبال لأوشكت تميد لما تلقاه من مضض البلوى

أرى نار قلبى كل يوم وليلة تزيد لهيباً كلما زدت فى الشكوى

لفقد أمينى بل حبيبى ومهجتى

وريحان زوجى من غدوت له نشوى

لقد كان فى عينى أبهى من الدجى

وأعذب فى قلبى من المنّ والسلوى

كصدر القنا كالنصل كالغصن فى النقا

كزهر الربى كالبدر كالرشأ الاحوى

أيا قبره هذا العزيز فلا تدع هوام البلى تهوى عليه كما تهوى

وحافظ على تلك العظام فانها لكنز ثمين ليت قلبى لها مثوى

ورثت ابنتها أسماء بقولها:

يا قرة العين ما لى عنك مصطبر كيف السلو ونار القلب تستعر

وكيف أسلو وعينى اليوم قد رحلت

أسما وأبقت دموع العين تنهمر

فيا عيونى جودى بالدموع عسى

تخفف بعض ما فى القلب يستتر

وساعدى مهجة المحزون علّك أن تطفى لهيب فؤاد كاد ينفطر

ياجمرة الحزن هلا تتركى كبدى يوماً بغير قروح فيه تنفجر

أسما شريكة قلبى آه وا أسفا هلا يعود زمان قد مضى نضر

ربيت تسعة أعوام مى وأتى من ليس يمنعه كبر ولا صغر

ما كان أقصر ذاك العمر وا أسفى كزهرة فى انبثاق الصبح تنتثر

يا لهف نفسى لأيام مضت عجلا كالحلم ولى فلا عين ولا أثر

أواه من طول ليل بت أسهره كأنما ما له صبح ولا سحر

قد كنت أشفق من دمعى على بصرى

واليوم هان علىّ الدمع والبصر

وقالت ترثى أخاها عبد الله :

أعيناى جودى بالدموع السواكب

وفيضى دماء بعد فقد الحبائب

ومنها :

طوى الدهر ما بينى وبين أحبتى وجمّع ما بينى وبين المصائب

تتابعت الأرزاء من كل جانب علىّ كما ينهل غيث السحائب

ثم تقول :

ويا كوكباً قد غاب عنى فى الثرى

وما هكذا عهدى غياب الكواكب

وتختم الرثاء قائلة :

سأبكيك دهرى ماحييت وإن أمت

ستبكى عظامى تحت طى الترائب

وقالت راثية إحدى السيدات عن لسان شقيقة لها :

قفا بى كى أودعها قليلا قبيل البين إذ أمسى طويلا

رويداً حيث أطلب أن أراها فلا ألقى لرؤيتها سبيلا

وهيهات الوداع وقد أتاها رسول البين يخطفها عجولا

ثم تقول :

إذا ناحت وأعولت البواكى أكون أحق من أبدى العويلا

وإن تك فارقت فى مصر نيلا ففى العليا أجتلت نيلا ونيلا

هناك تمتعت بنعيم عيش به تنسى المنازل والنزيلا

وأبقتنا بأحزان لديها نعد الصبر أمراً مستحيلا

وقالت ترثى قريبها :

أترى ما اكتفت صروف العوادى

بسهام أصمت صميم فؤادى

كلما كاد يضمد الجرح رمينى بسهم نفذت الأكباد

وأبى الدهر أن يمن بنظم غير نظم الرثاء والتعداد

سلبتنى المنون إنسان عينى ورفيق وعمدتى وعمادى

يا ألمى فى شدتى ورخائى ونصيرى فى النائبات الشداد

إلى أن تقول :

قد بكت فقدك المنابر حزنا ... وردت عليك ثوب الحداد
وبكتك العلوم من كل فن ... كنت فيه من أوحد الأفراد
شتت الدهر شملنا وافترقنا ... وكذا الدهر مولع بالعناد
فسأبكيك ما حييت إلى أن ... نلتقي في جوار رب العباد

وتختم الرثاء برثاء شقيقها إبراهيم العالم اللغوي المشهور :

لم يبق للحزن صبر ولا جلد ... ولا دموع تفي لي حق من فقدوا
وضاق صدري بما قد تراكم من ... حزني ولم يبق لي للاحتمال يد
بينا يضمد لي جرح لفقد أخ ... يجدد البين جرحاً ليس ينضمد
أخنى الزمان علينا مثل عادته
واغتال من هو ركن البيت والسند
مضى الشقيق فشق القلب مصرعه
وخلف النار في الأحشاء تتقد

ثم تقول :

يا قائل القول ما زلت به كلم ... وصاحب الرأي حقاً ليس ينتقد
منشي الفصول التي ماخطها قلم ... رب البيان الذي لم يحوه أحد

ومنها :

وكوكب الشرق ما تخبو له لمع
وإن خبت فالضيا[1] في إثرها مدد
بما نشرت لسان العرب معتصم ... وما نظمت لسان العرب معتضد
فضل سيبقى بقاء الدهر متصلا ... عليك لا ينقضي أو ينقضي الأبد

ثم تختم الرثاء بهذه الأبيات :

ياصخر بنت الشريد اليوم منتشر ... لها عليك قوافٍ في الورى شرد
هيهات ما فقدت صخرى ولا نظمت
دمعي ولا وجدت خنساء ما أجد
بكت وحيداً وأبكي ستة ذهبوا ... لكل عهدة بين الورى ولدوا
يا رحمة الله حلي في مضاجعهم ... ويا غمائم جودي حيثما رقدوا

وقد رثته ثانية حيث أنشدت على ضريح العائلة في بيروت أي بعد نقل رفاته من مصر :

ياقبر اهناً بما أوتيت من ظفر ... فقد حويت كوام البدو والحضر
حويت من هز ركن العلم مصرعهم
من بعد ما ألبسوه أفخر الحبر
حويت كنزاً ثميناً لو عرفت له ... قدراً لفاخرت فيه أثمن الدرر

ثم تقول :

يا قبر قد عاد إبراهيم وا أسفي ... يضوي إلى أسرة من أنفس الأسر
فأي عين لهذا الخطب ما ذرفت ... دماً وأي فؤاد غير منفطر
ويلاه من نكد الأيام كم فتكت ... بنا ولم تبق لي صبرا ولم تذر
ياقبر أكرم نزيلا حل فيك ولا ... تمتعن البلى من جسمه النضر

وتختم بقولها :

يامن مضى وجميل الصبر يتبعه ... هل من سبيل إلى لقياك منتظر
قد كنت مني مكان الروح من جسدي ... مضيت وكنت مكان النور من بصري

ومن صور الرثاء أيضاً ما قالته في الذكرى :

جز يا نسيم على وادي النقا سحرا
وسل عن الصحب هل تلقى لهم خبرا ؟
واشرح لهم سوء حالي بعد فرقتهم ... لعلهم يعطفوا أو يلفتوا النظرا
كنا وكانوا وكان الأمس يجمعنا ... فصير الدهر ذاك الجمع منتثرا
من لي برؤيتهم يوماً ويسعفني ... حظي وتبلغ عيني منهم الوطرا
مضى زمان الصفا ما كان أقصره
وعوض الدهر عن ذاك الصفا كدرا
أحبابنا ما أمر العيش بعدكم ... وهل يطيب لقلب بات منفطرا ؟

هذه مقتطفات من طويل الرثاء في إخوتها وأهلها الذين فقدوا في حياتها بكتهم بعيون تسيل دماً لا دمعاً . ولم يقتصر الرثاء فقط على من ذكرنا وإنما رثت جماعة كبيرة عن لسانها ولسان صديقاتها الكثيرات كما أوردنا البعض منها هنا بإيجاز .

ومن الشعراء طائفة ممن قرظوا ديوانها « حديقة الورد » فقالوا في ذلك أبياتاً نورد منها قسما هنا . منهم قول الشيخ الحموي أحد أدباء يافا مادحاً ديوانها :

الجهل شاع بهذا العصر وا أسفي ... وقد رأيت بيوم أعجب العجب
بديع نظم سما من وردة عبقت ... فاحت روائحها في العلم والأدب
فلله در لآلي درة نظمت ... كريمة اليازجي حسانة العرب

(١) إشارة إلى مجلة الضياء التي كانت يصدرها المرحوم إبراهيم اليازجي آنذاك .

وقال الحاج حسين افندى بيهم :

حديقة الورد قد طابت لجانيها ورق بالطبع قاسيها ودانيها
فاقطف ثمار المعانى من لطائفها وارشف شهى الحيا من قنانيها
ياحسن فكرة من أبدت لنا درراً ونظمت خير عقد من درارِيها
فانها فرع ناصيف الذى اشتهرت لطفا مقاماته وارتاح حاكيها
حكت أباها بآداب فما ظلمت جاءت على أصلها الباهى قوافيها
دامت تطرز أثواب القريض لنا ما قام يطرب بالأشعار راويها

ثم قال اسكندر أغا أبكاريوس :

أهدت لنا نفحات الورد فى الكلم
كريمة من بنات الجود والكرم
فريدة قد سمت فى الناس واشتهرت
ألطافها بين عرب الأرض والعجم
أكرم بها درة قد طاب عنصرها بالفضل أشهر من نار على علم
فاقت على سائر الأمثال قاطبة للنظم والنثر والآداب والشيم
صاغت لنا من نفيس الشعر أحسنه
نظما وأجوده فى المدح والحكم
أبدت لنا السحر فى نظم البيان وقد
زهت وباهت نساء العصر بالهمم
لا زال طالعها بالسعد مقترنا
ما ضاء بدر الدجى فى حندس الظلم

وقال خليل افندى الخورى :

لايفخر الغرب بالغادات لابسة تاج البلاغة تجلو راية الأدب
فان فى الشرق روض رائق نضر
تهدى شذا الشعر فيه وردة العرب
كريمة للكريم اليازجى بدت تجلو الفخار بمجد العلم والأدب

وقال المعلم أسعد الشدودى :

ألا يا وردة العرب التى قد زها نظم لها كعقود در
لقد أنشأت ديواناً بديعاً به أنسيتنا خنساء صخر
معانيه الدقيقة ذات ظرف لها رقصت معانى كل شعر
فلا عجب إذا فاقت سواها فنشر الورد أطيب كل نشر

ثم قال يوسف افندى السيوفى :

نزه لحاظك فى جمال حديقة أبداً يفوح الطيب من أزهارها
لا بدع أن فاقت بحسن بهائها وتقاصر الأقران عن أقدارها
فالورد من أغراسها والطيب من أنفاسها واللطف من أسرارها

ثم قال سليم افندى الخورى :

فى روضة الورد قامت وردة العرب
تبدى لنا نفحات العلم والأدب
كريمة الفرد ناصيف التى أخذت عنه النظام فكانت بنت خير أب
أبدت من رقيق الشعر أعذب ما يحلو ويغلو كما يحلو من الريب

وقال المعلم إبراهيم سركيس :

فريدة العصر قد صاغت لنا درراً تدوم رياضة حيناً إلى حين
أحلى الحدائق ما كانت مكللة بالورد والورد سلطان الرياحين

ومما قاله أخوها الشيخ إبراهيم اليازجى :

هذه حديقة ورد عز جانبها وحبذا روض ورد يفرج الكربا
من طافها يرَ فيها الدر منتظما والطيب منتشراً والسكر مختلبا

هذه صورة مصورة من حياة الشاعرة الكبيرة وردة اليازجى اقتطفتها من ديوانها « حديقة الورد » آملا بعمل هذا تقديم باقة من زهر هذه الحديقة الغناء يشمها القارىء فيتعطر بشذاها ويتعبق برائحتها خدمة للأدب والتاريخ .

(بغداد) يوسف يعقوب مسكونى

الأستاذ أبو خلدون صالح الحصرى يقدم:

إلى المعلمين والمربين والوالدين والمفكرين

١ — آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية

٢ — آراء وأحاديث فى التربية والتعليم

وهما خلاصة مطالعات ، وزبدة تجارب ، فى ترتيب منطقى ، وأسلوب سهل ، وصورة مشوقة . يطلبان من إدارة الرسالة ومن سائر المكاتب الشهيرة ٢٠ قرشاً للأول و٣٠ قرشاً للثانى عدا أجرة البريد